

حروف الجر وأثرها في تنوع المعنى القرآني

أ. د. حمزة مسعود الطوير

الأكاديمية الليبية للدراسات العليا

مجلة جامعة الجبل الغربي - العدد 5 - 2008م

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:

فإن على المتشخص اللغة العربية أن يلاحظ أن لها من الخصائص ما يميزها عن غيرها من اللغات، فهي قد وسمت كتاب الله ، ولها من وسائل الاتساع ما جعلها أعنى اللغات الفاظاً، وأساسها أسلوباً ، وأوسعها دلالة ، ومن أكثر أبوابها اتساعاً ومرونة باب الجر .

الجر في اللغة العربية هو خفض الاسم أما يحرف الجر ، وإما بالإضافة ، وإما بالتبعية، كما في قوله تعالى: ﴿الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد﴾⁽¹⁾ ففي الآيتين الكريمتين كثير من الأسماء المجروزة، وهي متنوعة بين حر بالحرف ، وجر بالإضافة، وجر بالتبعية.

إن الذي يعنينا في هذه الدراسة هو النوع الأول وهو الجر بالحرف، والمتتبع لآي القرآن الكريم يجد أنه لا تكاد أية تخلو من حرف حر إلا في القليل النادر، وذلك لما لهذه الحروف من أهمية في ربط الكلام ببعضه ببعض، وإيصال المعنى من سابق إلى لاحق، أو من لاحق إلى سابق، كما أن لحروف الجر أثرها في تنوع المعاني القرآنية تبعاً لتنوع هذه الحروف، حيث إن لكل حرف منها معنى يطلبه المقام، و غرضاً يستدعيه الكلام.

المنهج:

أحاول في هذا البحث استجلاء الأسرار الكامنة وكشف اللطائف الدقيقة المعاني حروف الجر في القرآن الكريم وتتبع أثر تنوع هذه الحروف في تنوع معاني الآيات القرآنية ، منتهجاً منهجاً وصفيّاً تحليليّ يتيح للقارئ الوقوف على تنوع معاني الآيات القرآنية بتنوع حروف الجر من خلال

(1) سورة إبراهيم، (1-2).

خمسة محاور ارتكزت عليها هذه الدراسة ، وسأكتفي في هذه المحاور بحروف الجر الواردة في القرآن الكريم مرتبة هجانياً.

المحور الأول : حروف الجر بين الإطلاق والتقييد:

حروف الجر في اللغة العربية واحد وعشرون حرفاً على تفاوت في درجة الشهرة والاستخدام وهي بحسب الترتيب الهجائي : (إلى ، الباء ، التاء ، حاشا ، حتى ، خلا ، رب ، عدا ، على ، عن ، في ، الكاف ، كي ، اللام ، لعل ، لولا ، متى ، مذ ، من ، منذ ، الواو) وهذه الحروف من حيث الإطلاق والتقييد ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول : قسم يعمل مطلقاً باتفاق ويشمل ثمانية حروف هي: (إلى ، الباء ، على ، عن ، في ، الكاف ، اللام ، من) فهذه الحروف الثمانية تعمل الجر عند العرب باتفاق جميع النحاة بلا قيد ولا شرط.

القسم الثاني: قسم يعمل بشروط وقيد خاصة أو في مواضع معينة، ويشمل أحد عشر حرفاً هي: (التاء ، حتى ، حاشا ، خلا ، رب ، عدا ، كي ، مذ ، منذ ، الواو) .

1. أما التاء ، فمختصة بالقسم ، ولا يذكر معها فعل القسم، ولا تجر إلا لفظ الجلالة (الله) نحو قوله تعالى: ﴿تالله تفتا تذكر يوسف﴾⁽²⁾ وسمع جره لتركيب الإضافة ((رب الكعبة)) فقليل : (ترب الكعبة ، وتربي لأفعان) وسمع: (تالرحمن) ، وقليل: (تحياتك) وهذا غريب⁽³⁾.

(2) سورة يوسف، (85).

(3) انظر شرح ابن عقيل، تحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة التراث العربي، القاهرة، ط14، 1965م، 12/2.

2. وأما حتى ، فلانتهاء الغاية ولا تجر إلا ما كان ظاهراً وما كان آخراً أو متصلاً بالآخر⁽⁴⁾
فمثال ما كان آخراً قولهم : أكلت السمكة حتى رأسها، فالرأس آخر السمكة، ومثال ما كان متصلاً
بالآخر قوله تعالى: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾⁽⁵⁾ فمطلع الفجر متصل بآخر الليل.
3 وأما حاشا : ففي الاستثناء خاصة فيقال: قام الطلاب حاشا زيد، والمستثنى بها مجرور لا
غير عند سيبويه⁽⁶⁾.

4. وأما خلا: ففي الاستثناء شريطة ألا تتقدمها " ما " نحو: قام الطلاب خلا محمد.

5. ولما رب : فتجر الذكرة الموصوفة، ولا تكون إلا في صدر الكلام⁽⁷⁾ كقول الشاعر:

ألا رُب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل⁽⁸⁾

وقد سمع جرّها ضمير الغيبة ، وهو نزر ، وعدّ ابن عقيل جرّها ضمير الغيبة شاذاً ، كقول
الشاعر:

واه رأبت وشيكا صدع أعظمه وربّه عطباً أنقذت من عطبه⁽⁹⁾

6. وأما عدا: ففي الاستثناء، شريطة ألا تتقدمها " ما " مثل: حضر الطلاب عدا محمد،
ويجوز في مجرورها النصب على أنها فعل جامد كخلا⁽¹⁰⁾.

(4) انظر النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط5، 482/2.

(5) سورة القدر، (5).

(6) انظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، دار الشام للتراث، بيروت، ط1، 1987م، ص130.

(7) انظر شرح ابن عقيل، 12/2، وموسوعة الحروف العربية، إميل يعقوب، دار الجبل، بيروت، ط1، 1988م، ص260.

(8) البيت من الطويل، وهو لامرئ القيس، وقد دخلت رُب على نكرة موصوفة وتصدرت الكلام، انظر شرح المعلقات العشر للشنقيطي، دار الكتب

العلمية، بيروت، ص59.

(9) البيت من البسيط ولم يُعلم قائله، ورأبت: أصلحت، وعطباً: هالكاً، وقد دخلت رُب على ضمير الغائب وهذا قليل نادر.

(10) انظر أوضح المسالك، ص120.

7. وأما كي : فتستخدم حرفاً للجر قليلاً جداً وذلك في ثلاثة مواضع⁽¹¹⁾ وهي في المواضع الثلاثة بمنزلة لام التعليل معنى وعملاً، وهذه المواضع هي:

الأول: إذا دخلت على " ما " الاستفهامية نحو: كيما ؟ وأصلها : كي ما ، ومعناها : لِمَ ؟ فـ"ما" استفهامية في موضع جر بـ " كي " وحذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها، ثم جيء بـ "هاء" السكت فصارت (لِمَ ؟).

الثاني: إذا دخلت على (ما) المصدرية نحو قول الشاعر:

إذا أنت لم تنفع فضرّ فإنما يُراد الفتى كيما يضر وينفع

أي: للضرر والنفع.

الثالث: إذا دخلت على فعل مضارع منصوب بأن مقدرة نحو: "جئت كي أكرم زيدا" أي جئت لإكرام زيد.

8. وأما (لولا) فحر جر عند سيبويه إذا اتصل بها ضمير موضوع للجر كالياء والكاف، والهاء في: (لولاي، ولولاك، ولولاه)، كما في قول يزيد بن الحكمين أبي العاص يعتب على ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص.

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي⁽¹²⁾

وقول عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان:

أتطمع فينا من أراق دمائنا ولولاك لم يعرض لأحسابنا حسن⁽¹³⁾

(11) انظر شرح ابن عقيل، 4-3/2، وموسوعة الحروف العربية، ص325.

(12) قلة النيق: رأس الجبل، منهوي: ساقط.

(13) المقصود: الحسن بن علي رضي الله عنه.

ف(لولا) حرف جر ، والضمير مجرور بها، ودليل ذلك أن الياء والكاف والهاء من ضمائر الجر والنصب متصلة، ولا تكون منصوبة بعد حرف أو فعل إلا وقبلها نون الوقاية، فعدم سبقها بنون الوقاية دليل جرها.

ويرى الأخفش وبعض الكوفيين أن (لولا) ليست حرف جر ، وما بعدها في موضع رفع بالابتداء، وقد وضع ضمير الجر موضع الرفع⁽¹⁴⁾.

10.9. وأما (مذ ، ومنذ)⁽¹⁵⁾ فلا يجزان إلا أسماء الزمان خاصة ويكونان بمعنى (من) إذا كان المجرور في الزمن الماضي نحو : ما رأيته مذ يوم الجمعة ، ومنذ يوم الجمعة ، أي: من يوم الجمعة.

ويكونان بمعنى (في) إذا كان المجرور في الحاضر، نحو: ما رأيته مذ يومنا، أي: في يومنا⁽¹⁶⁾.

11. وأما (الواو) ففي القسم خاصة ، ولا يجوز ذكر فعل القسم معها ، ولا مع التاء ، فلا يقال: أقسم والله ، أو أقسم تالله ، وهي تجر لفظ الجلالة وغيره، كما في قوله سبحانه : ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾⁽¹⁷⁾، وقوله : ﴿والفجر وليال عشر﴾⁽¹⁸⁾.

⁽¹⁴⁾ همع الهوامع، للسيوطي، تحقق: عبد العل مكرم، وعبد السلام هارون، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975م، 210-202/4، وشرح ابن عقيل، 7-9، وموسوعة الحروف العربية، ص416-417.

⁽¹⁵⁾ تستعمل (مذ) و(منذ) اسمين في ثلاثة مواضع: **الموضع الأول:** إذا وقع بعد اسم مرفوع نحو: (ما رأيته مذ يومنا) أو (منذ يوم الجمعة) فكل من (مذ) و(منذ) مبتدأ وما بعدها الخبر وقيل: هما ظرفان أخبر بهما عما بعدهما، **الموضع الثاني:** إذا وقع بعدهما جملة فعلية ولا يكون فعلها إلا ماضياً نحو: (جئت مذ دعاني محمد) و(سافرت منذ طلعت الشمس) ف(مذ) و(منذ) في محل نصب على الظرفية، والعامل فيها (جئت) و(سافر)، **الموضع الثالث:** إذا وقع بعدهما جملة إسمية نحو قول الشاعر:

ولا زلت أبغي المال مذ أنا يافع وليداً وكهلاً حين شبت وأمرداً

فمذ ظرف مضاف إلى الجملة بعده، وعامله الفعل "أبغي". انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأثير، تحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، 1987م، 328/1، وما بعدها، وشرح ابن عقيل، 32/2، وموسوعة الحروف العربية، ص451.

⁽¹⁶⁾ شرح ابن عقيل، 31/2.

⁽¹⁷⁾ سورة الأنعام، (23).

⁽¹⁸⁾ سورة الفجر، (2-1).

القسم الثالث: قسم يجر في لغات بعض القبائل دون بعض ويشمل حرفين ، هما : (لعل، ومتى) وبيان ذلك كالتالي:

1. أمّا (لعل) فتستعمل حرف جر في لغة "عقيل" كما في قول الشاعر:

فقلت : اذع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب⁽¹⁹⁾

وقول الآخر :

لعل الله يمكنني عليها جهارا من زهير أو أسيد⁽²⁰⁾

فلعل حرف جر شبيه بالزائد، وما بعدها مبتدأ مرفوع المحل⁽²¹⁾.

2. وأمّا (متى) فتستعمل حرف جر في لغة " هذيل⁽²²⁾ ومن كلامهم:

3. (أخرجها متى كمه) أي منه ، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

شرين بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر، لهن نتيج⁽²³⁾

ف (متى) حرف جر بمعنى (من).

1 . وتنقسم حروف الجر من حيث مجرورها إلى ثلاثة أقسام:

⁽¹⁹⁾ البيت ينسب لعكب بن سعد الغنوي، وهو من بحر الطويل، انظر شرح ابن عقيل 4/2، الشاهد 196.

⁽²⁰⁾ البيت لخالد بن جعفر وهو من البحر الوافي، ويروى: يقدرني بدل يمكنني، انظر خزانة الأدب للبغدادي، تحقق: عبد السلام هارون، مكتبة

الخانجي، القاهرة، ط2، 1988م، 438/10 وما بعدها.

⁽²¹⁾ انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقق: مازن مبارك، ومحمد علي، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985م، 222/1،

وهمع الهوامع، 207/4، وشرح ابن عقيل، 5-4/2، وموسوعة الحروف العربية ص397.

⁽²²⁾ انظر همع الهوامع، 210-211/4، وشرح ابن عقيل، 6/3.

⁽²³⁾ يدعو الشاعر لامرأة ذكرت في بيت سابق بالسقيا من ماء سحب استقت ماءها من ماء البحر، وأخذت ماءها من خضر أي تجمعات مياه كثيرة

لها صوت عالٍ.

1. حروف لا تجر إلا الأسماء الظاهرة وهي : (من ، منذ ، حتى ، الكاف ، الواو ، التاء ، رب ، كي ، لعل ، متى).

2 حروف تجر الأسماء الظاهرة والمضمرة وهي : (من ، إلى ، خلا ، عدا ، حاشا ، في ، عن ، على ، اللام ، الباء).

3 حروف لاتجر إلا الضمير المتصل وهي (لولا) .

تلك كانت حروف الجر مطلقها ومقيدها، ما ورد منها في القرآن الكريم على أنه حرف جر وما لم يرد ، وفي المحاور التالية ستقتصر الدراسة على حروف الجر المستخدمة في القرآن الكريم وعددها اثنا عشر حرفاً وهي : (إلى ، الباء ، التاء ، حتى ، رب ، على ، عن ، في ، الكاف ، اللام ، من ، الواو).

المحور الثاني: الحروف بين الأصالة والزيادة :

اختلف اللغويون في إمكان زيادة حروف الجر ، فمنهم مانع لذلك ومنهم مجيز، على أن المجيزين يرون أن حروف الجر التي يمكن أن تأتي زائدة في الجملة هي (الباء ، الكاف ، اللام ، من) ويرون أنها تزداد لتوكيد معنى الجملة أو اللفظ ، وزيادة الكلام فصاحة⁽²⁴⁾.

وقد اختلفوا في تسمية الحروف التي يرون زيادتها، فسماها البصريون : بـ " أحرف الزيادة أو اللغو " ووسمها الكوفيون : " حروف الصلة " لأنهم لم يرتضوا مثل هذه الإطلاقات على ما هو في كتاب الله تأديباً كما هو الشأن لدى كثير من العلماء، يقول الزركشي في البرهان: (الأولى

(24) انظر حروف الجر وأثرها في الدلالات، محمد طيب فانكا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الجماهيرية، ط1، 2002م، ص179.

اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى، فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى⁽²⁵⁾.

ويرى المجيزون لهذا الأمر أن حروف الجر تنقسم وفق ذلك إلى ثلاثة أقسام :

1. حروف جر أصلية : وهي التي تؤدي معنى فرعياً جديداً في الجملة وترتبط بين العامل والمجرور: فيتوصل بها ذلك العامل إلى مجروره ، وهي ست حروف : (إلى ، في ، عن ، على ، الواو ، التاء).

2. حروف جر شبيهة بالزائدة : وهي التي تجر ما بعدها من الأسماء لفظاً، ويكون له محله من الإعراب في الجملة، وتنفيذ معنى جديداً مستقلاً في الجملة ، ومن هذا النوع حرف (رب)، ويتميز هذا النوع بأنه لا يمكن الاستغناء عنه لفظاً ومعنى ، فأشبهت من هذا الوجه حروف الجر الأصلية.

3. حروف جر زائدة : وهي التي يؤتى بها لتؤكد معنى الجملة دون أن تحمل معنى جديداً فيها، ومنها : (الباء ، الكاف ، اللام ، من).

وهناك قسم رابع يمكن إضافته إلى هذا التقسيم، وأقصد به حرف الجر الشبيه بالأصلي، وهذا الحرف لا يمكن الاستغناء عنه، إذ إنه يأتي لتقوية عامله الضعيف الذي يتعلق به، ومن هذا القسم حرف اللام الزائد زيادة غير محضة⁽²⁶⁾.

يذهب القائلون بإمكان زيادة حروف الجر إلى أن هذه الحروف أصيلها وزائدها تلتقي جميعها على جر الاسم بعدها، وتفترق في كون الأصل منها يرتبط وجوده بوجود معنى جديد في الجملة لا يكون إلا بدخوله عليها، أما الزائد فيؤتى به توكيدا لمعنى الجملة قبل دخوله عليها، كما أن حرف الجر الأصلي يلزم على تعلقه بعامله، بينما لا يحتاج الحرف الزائد إلى ذلك، وكذلك

⁽²⁵⁾ البرهان في علوم القرآن، الزركشي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 72/3.

⁽²⁶⁾ انظر حروف الجر وأثرها في الدلالات، ص68 وما بعدها، والنحو الوافي، 2/435 وما بعدها،

فالحرف الأصلي يجر معموله لفظاً دون ان يكون له محل من الإعراب بخلاف الحرف الزائد الذي يكون المجروره محل من الإعراب في الجملة⁽²⁷⁾.

يتأكد القول بزيادة بعض حروف الجر عند هذا الفريق بشكل أوضح عند التعامل مع بعض النصوص القرآنية ، لاسيما آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾⁽²⁸⁾ يقول محمد دراز: (إن أكثر أهل العلم قد ترادفت كلمتهم على زيادة الكاف بل على وجوب زيادتها في هذه الجملة فراراً من المحال العقلي الذي يفضي إليه بقاؤها على معناها الأصلي من التشبيه إذ رأوا أنها حينئذ نافية للتشبيه عن مثل الله فيكون تسليماً بثبوت المثل له سبحانه ، وقليل منهم من ذهب إلى أنه لا بأس ببقائها على أصلها، إذ رأى أنها لا تؤدي إلى ذلك المحال لا نصّاً ولا احتمالاً؛ لأن نفي مثل المثل يتبعه نفي المثل أيضاً)⁽²⁹⁾.

إن القليل المشار إليه هو الذي يمثل الفريق الثاني القائل بأصالة حروف الجر كلها، وعدم وجود الزائد منها لاسيما في القرآن الكريم ، يقول لاشين: (نجد أهل العلم واللغة لا يفتوّون يذكرون عن هذه الحروف أنها مقحمة أو هي للتأكيد ثم يرمى بهذه الكلمات في كل موطن يظن فيه الزيادة ، وقد لا يكون المقام في حاجة إلى تأكيد ، فالحكم على هذه الحروف في القرآن بهذا النوع من الزيادة أو شبهها إنما هو نوع من التساهل وعدم الدقة في الموازين التي توزن بها التعبيرات في القرآن الكريم)⁽³⁰⁾.

ربما كان لاشين محقاً فيما ذهب إليه ؛ لأن القول بالزيادة يقتضي أن يكون في كتاب الله مالا طائل من ورائه ، فزيادة الحرف تقتضي أن يكون وجوده وعدمه سواء، وهو أمر يأباه العقل، والنص (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)⁽³¹⁾، فمثلا في قوله تعالى: (يا أهل

⁽²⁷⁾ حروف الجر وأثرها في الدلالات، ص 70-71.

⁽²⁸⁾ سورة الشورى، (11).

⁽²⁹⁾ النبا العظيم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، 1394هـ، ص133.

⁽³⁰⁾ من أسرار التعبير في القرآن، عبد الفتاح لاشين، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، (1403هـ/1983م)، ص121.

⁽³¹⁾ هود (1).

الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير⁽³²⁾ يزعم بعض النحاة أن (من) زائدة، والمعنى: ما جاءنا بشير ولا نذير، لكننا إذا تدبرنا معنى الآية وغرضها تبين بطلان هذا الزعم؛ لأنها في الآية لها معنى، وهي تضفي عليها رداء الكمال والحسن، فكأن الله تعالى حين قال على لسان أهل الكتاب: (ما جاءنا من بشير) أي لم يأت لنا أحد من بداية ما يقال له بشير، ولم يصل لنا أحد قال لنا كلمة الإيمان ، ولم يهدنا أحد ولو بكلمة، " فمن " إذا ليست زائدة وإنما دلت على معنى في الآية الكريمة.

في قوله تعالى: (يغفر لكم من ذنوبكم)⁽³³⁾ تحدث المهدوي عن معنى حرف الجر " من " فقال: قيل لبيان الجنس، وقيل للتبعيض، وقيل هي بمعنى عن، ولا يصح كونها زائدة؛ لأن "من" لا تزداد في الواجب وفي كونها هاهنا لبيان الجنس نظر إذ لم يتقدم جنس يبين⁽³⁴⁾.

وإن كان المهدوي لم يرجح رأياً بعينه في "من" فإن ابن عطية يرجح أنها للتبعيض في قوله تعالى: (يغفر لكم من ذنوبكم) فينقل رأي سابقه في معناها قائلاً: (قال قوم: " من " زائدة ، وهذا نحو كوفي ، وأما الخليل وسيبويه فلا يجوز عندهما زيادتها في الواجب ، وقال قوم : هي لبيان الجنس ، وهذا ضعيف؛ لأنه ليس هناك جنس يبين ، وقال آخرون : هي بمعنى "عن" وهذا مميز معروف في أحكام من " وقال آخرون : هي للتبعيض، وهذا عندي أبين الأقوال ، وذلك أنه لو قال : ليغفر لكم ذنوبكم لعم هذا اللفظ ما تقدم من الذنوب وما تأخر عن إيمانه ، والإسلام إنما يجب ما قبله فهو بعض من ذنوبهم⁽³⁵⁾.

عند تفسير قوله تعالى : (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب)⁽³⁶⁾ يقول الزمخشري: (ولو قيل في آذاننا وقر وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى:

(32) المائدة (19).

(33) نوح (4).

(34) التحصيل لفوائد التفصيل، أحمد بن عمار المهدوي، ص146.

(35) المحرر الوجيز لابن عطية، تحقق: المجلس العلمي بفاس، مطابع فضالة، المغرب، ط2، 1982م، 121/16.

(36) فصلت (95).

أن حجاباً حاصل بين الجهتين، وأما بزيادة " من " فالمعنى أن حجاباً ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مملوءة بالحجاب ولا فراغ⁽³⁷⁾ "فمن" قد أفادت متانة الحجاب حتى صار سدا منيعاً وحصناً حصيناً توجد فيه فرجة ولا تظهر منه ثغرة تتسرب منها الهداية، وهذا المعنى لم يكن ليعمهم لولا وجود هذا الحرف.

مثله قوله تعالى: ﴿وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سراييلهم من قطران وتغشى وجوههم النار﴾⁽³⁸⁾ يقول السيوطي: (وجود " من " في الآية نفى توهم مجاز التشبيه نحو زيد أسد، وفرق بين خاتم فضة وخاتم من فضة، فإن الأول يحتمل أنه تشبيه محذوف الأداة، والثاني نص لا يتطرق إليه احتمال التشبيه البتة)⁽³⁹⁾.

المحور الثالث: نيابة الحروف:

حاولت في هذا البحث الكشف عن بعض الأسرار البلاغية لحروف الجر في القرآن الكريم، ومن خلال استقراء تلك الحروف تبين أن لكل حرف منها معنى يطلبه المقام وغرضاً يستوجبه الكلام، فحرف "في" للوعاء و"على" للاستعلاء، فهو يفيد كون الشيء فوق الشيء، وإلى المنتهى فهي تفيد انتهاء الغاية مطلقاً (سواء أكانت نهاية الغاية في زمان أم مكان، وسواء أكانت هي الآخر الحقيقي لما قبل " إلى " أم ليست الآخر الحقيقي، ولكنها متصلة به اتصالاً قريباً أو بعيداً)⁽⁴⁰⁾.

⁽³⁷⁾ الكشف للزمخشري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 177/4.

⁽³⁸⁾ إبراهيم (50).

⁽³⁹⁾ معترك الأقران للسيوطي، تحقق: علي محمد البيجاوي وآخرون، القاهرة، 1969م، 235/1.

⁽⁴⁰⁾ انظر النحو الوافي، 468/2.

أما حرف الجر "من" فيفيد ابتداء الغاية مثل قولك : خرجت من الدار ، وقد تأتي للتبعيض وذلك نحو قولك : لبست من الثياب ثوباً ، وقبضت من الدراهم درهماً ، أي لبست بعض الثياب وقبضت بعض الدراهم⁽⁴¹⁾.

أما حرف الجر عن : فإن الغرض الذي يستوجبه هو مجاوزة جرم عن جرم كقولك أبعدت المصحف عن العبث، وقد تستعمل في المعاني على طريق التشبيه كقوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً﴾⁽⁴²⁾ فقد شبه انصراف البصيرة عن تأمل ذكر الله بانصراف المجاوز عن مجاوزة .

ونتيجة المرونة العربية وسعتها فإن هذه الحروف تتسم بإفادة الواحد منها العديد من المعاني ، ويستعمل بعضها عوضاً عن بعض وفق ما يتطلبه المقام ، وما يضيفه هذا الحرف المستعمل من معنى جديد في الجملة ، وما يكسوها وجوده من نكات بلاغية لم تكن لتوجد في الجملة مع استعمال غيره من الحروف ، وهذا ما يسمى بنبابة الحروف.

انقسم علماء اللغة حيال هذا الموضوع إلى فريقين: الفريق الأول يمثله بعض نحاة البصرة ، إذ ذهبوا إلى قصر كل حرف من حروف الجر على معنى أصلي واحد يؤديه على سبيل الحقيقة لا المجاز ، وأن كل ما يؤديه حرف الجر من معان غير هذا المعنى فهو يعود إليه، وبهذا منعوا نبابة حروف الجر بعضها عن بعض⁽⁴³⁾.

⁽⁴¹⁾ معاني الحروف، الرمانى، تحقق: عبد الفتاح شلبي، 1973م، ص97.

⁽⁴²⁾ طه، (124).

⁽⁴³⁾ الخصائص، ابن جني، تحقق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، 308/2.

وقد ألجأهم ذلك إلى القول بالتضمين ، أي تضمين الفعل معنى فعل آخر، يقول ابن جني: (اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فإن العرب قد تتوسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيدانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر)⁽⁴⁴⁾.

أما جمهور علماء البصرة فقد قالوا بالمعنى الواحد للحرف الواحد وعدوا التوسع في استعمال بعض الحروف من المجاز أو التضمين ، ونتج عن اجتهداتهم وتخريجاتهم لظاهرة نيابة حروف الجر بعضها عن بعض ظاهرة التضمين نتيجة ظهور بعض النصوص اللغوية، وهي متعارضة مع القواعد التي تحكم تعدية الأفعال وعلاقاتها بما بعدها من مكملات الجملة، أي عدم توافق الفعل في شكله التركيبي الذي ورد عليه مع واسطته حرف الجر " إلى مفعوله.

ممن يمثل هذا الاتجاه من المفسرين ابن عطية الأندلسي الذي لا يتفق مع القائلين بأن حروف المعاني يبدل بعضها من بعض، وهو في ذلك متأثر بالخليل وسيبويه، ففي تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾⁽⁴⁵⁾ ينقل عن طائفة من المتأخرين قولهم: (إلى " بمعنى "مع"، وروي عن مجاهد بن جبر أن معنى الآية : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾⁽⁴⁶⁾.

لكن ابن عطية يرى أن هذا غير جيد فيقول: (هذا تقريب للمعنى لا أنه أراد أن الحرف بمعنى الآخر)⁽⁴⁷⁾ ونقل عن حذاق العلماء قولهم : (إلى هي على بابها، وهي تتضمن الإضافة، والتقدير: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم في الأكل)⁽⁴⁸⁾ فقد التجأ ابن عطية إلى التضمين؛ فراراً من القول بنيابة حروف الجر بعضها عن بعض.

(44) المصدر السابق، 308/2.

(45) النساء، (2).

(46) المحرر الوجيز، 123/1.

(47) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(48) المصدر السابق، 123/1.

أما الفريق الثاني فهم الكوفيون وبعض البصريين الذين يرون أن الحرف كلمة كسائر الكلمات يؤدي الواحد منها عدة معان حقيقية لا مجازية.

وقد قال هؤلاء بنيابة حروف الجر بعضها عن بعض ولم يلجؤوا إلى ما لجأ إليه البصريون من تخريجات بل أعفوا أنفسهم مشقة التخريج والتأويل⁽⁴⁹⁾ وتقرر لديهم أن حروف الجر واسعة التصرف ، وقد توسع العرب في استعمالها ما أكسب اللغة مرونة فائقة وقدرة على التعبير، ولم يكن هذا رأي الكوفيين وحدهم بل شاركهم فيه بعض النحاة الآخرين، يقول المبرد - وهو من علماء البصرة - ((حروف الخفض يبدل بعضها من بعض إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع))⁽⁵⁰⁾.

من العلماء القائلين بنيابة حروف المعاني بعضها عن بعض مكي بن أبي طالب، حيث تجده عند تفسير قوله تعالى : ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾⁽⁵¹⁾ يقول : ((تقع " على " بمعنى " الباء " تقول : اركب على اسم الله أي: بسم الله، وتقع بمعنى مع " نحو قولك: جئت على زيد أي معه⁽⁵²⁾ ومنه قوله تعالى في سورة الإنسان: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ وتقع بمعنى " من " نحو قوله تعالى : ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾⁽⁵³⁾.

وعند تفسير مكي لقوله تعالى : ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ يقول: ((إلى بمعنى مع كما قال تعالى : (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم)⁽⁵⁴⁾ أي مع أموالكم، وقيل إلى على بابها، والعرب تقول: خلوت به وخلوت إليه ومعه، لكن " الباء " تدل على معنى خلوت من السخرية، و" إلى " لا تدل إلا

(49) انظر النحو الوافي، 540/2 وما بعدها.

(50) الكامل في اللغة والأدب، المبرد، مطبعة الفتوح، القاهرة، 3/ 46.

(51) البقرة، (7).

(52) تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، مخطوط، خزانة الرباط، رقم (ق 217)، ص 17.

(53) المطففين، (2).

(54) النساء، (2).

على خلوت إليه في أمر ما، والآية ليست على معنى السخرية ، لذلك لم تأت الباء لما فيها من إشكال⁽⁵⁵⁾ بينما يرى ابن عطية أن " خلوا " نزل في هذا الموضع منزلة ذهبوا، إذ هو معادل لقوله: " لقوا " ولهذا وصلت بـإلى وعرفها أن توصل بالباء ، فالتعدي بـإلى فيه دلالة على الاستئناس والالتجاء إلى المختلى بهم لا توجد في الباء⁽⁵⁶⁾.

ومن أمثلة نيابة حروف الجر بعضها عن بعض في القرآن الكريم ورود حرف الجر " على " بمعنى " في " في قوله تعالى : ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ﴾⁽⁵⁷⁾ أي في زمن ملكه، ومنه قول الأعشى:

وصلّ على حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبد⁽⁵⁸⁾

وقد ترد " على " أيضاً بمعنى " الباء " كما في قوله تعالى: ﴿حَقِيقَ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾⁽⁵⁹⁾ أي بأن لا أقول على الله غير الحق.

ومنه أيضاً ورود حرف الجر " الباء " الدال على حقيقة الإلصاق مكان حرف الجر " من " الذي يدل على حقيقة الابتداء كما في قوله تعالى : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ﴾⁽⁶⁰⁾ أي منها ، ونظيره أيضاً قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾⁽⁶¹⁾ ومنه قول الشاعر :

شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراء تتفر عن حياض الديلم⁽⁶²⁾

أي : شربت من ماء الدحرضين.

⁽⁵⁵⁾ الإشكال في الباء أنها تحتل معنى إلى ومعنى السخرية.

⁽⁵⁶⁾ المحرر الوجيز، 123/1.

⁽⁵⁷⁾ البقرة، (102).

⁽⁵⁸⁾ ديوان الأعشى، ص 46.

⁽⁵⁹⁾ الأعراف، (105).

⁽⁶⁰⁾ الإنسان، (6).

⁽⁶¹⁾ المطففين، (123).

⁽⁶²⁾ ديوان عنتره، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م، ص 121، والبيت من الكامل.

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾⁽⁶³⁾ استخدم حرف الجر "من" بدل "في"؛ لأن الانقطاع عن العمل إلى الصلاة والعبادة لم يكن مطلوباً سائر اليوم، بل ينبغي على المسلمين افتتاح يومهم بالعمل وقضاء الحوائج، فإذا نادى منادي الصلاة لبوا نداء الله تعالى مسرعين في فترة زمنية محددة من هذا اليوم، فإذا فرغوا من صلاتهم عادوا إلى أعمالهم منتشرين في الأرض، طالبين فضل الله ورزقه وقد تأتي "الباء" بمعنى: عن "نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِإِيمَانِهِمْ﴾⁽⁶⁴⁾ أي: وعن أيمانهم ، ومن ذلك قول عنتره :

هلا سألت الخيل يابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

أي هلا سألت الخيل عما لم تعلمي⁽⁶⁵⁾.

وقد تأتي "الباء" بمعنى "مع" لتفيد المصاحبة كما في قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾⁽⁶⁶⁾ أي: اهبط مع السلام والبركات عليك، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾⁽⁶⁷⁾ بمعنى فسبحه حامداً له، أي سبحه مع الحمد، وقيل هي بمعنى الاستعانة أي فسبحه مستعيناً بما حمد به نفسه⁽⁶⁸⁾.

ولابن عاشور قول طريف في هذه الآية، إذ يقول : ((الباء في قوله بحمد ربك للمصاحبة جمعاً بين تعظيم الله بالتنزيه عن النقائص وبين الثناء عليه بأوصاف الكمال⁽⁶⁹⁾).

⁽⁶³⁾ الجمعة، (9).

⁽⁶⁴⁾ الحديد، (12).

⁽⁶⁵⁾ ديوان عنتره بن شداد، ص 123.

⁽⁶⁶⁾ هود، (48).

⁽⁶⁷⁾ النصر، (3).

⁽⁶⁸⁾ انظر مغني اللبيب، ص 140، وحروف الجر وأثرها في الدلالات، ص 297.

⁽⁶⁹⁾ التحرير والتنوير، 85/27.

في قوله تعالى: ﴿من أنصاري إلى الله﴾⁽⁷⁰⁾ استعمل حرف الجر " إلى " بمعنى " مع " على اعتبار بقاء حرف الجر " إلى " على بابها، والمعنى " من يضيف نصرته إلى الله، قال السدي وابن جريج والكسائي : ((أي: مع الله ، تقول العرب الدود إلى الذود ابل))⁽⁷¹⁾ ومنه قول النابغة:

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب⁽⁷²⁾

ويشير ابن جزي إلى تعدي بعض الكلمات بحرف دون حرف آخر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾⁽⁷³⁾ فيقول: ((الرفث هنا الجماع، وإنما تعدى بإلى؛ لأنه في معنى الإفضاء))⁽⁷⁴⁾.

ويجيب الزمخشري عن الموضوع نفسه بقوله: ((لما كان الرجل والمرأة يعتقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه)) ثم يستشهد بقول النابغة الجعدي:

إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثبت فكانت عليه لباساً⁽⁷⁵⁾

في قوله تعالى: (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم)⁽⁷⁶⁾ قال القرطبي : ((وقالت طائفة من المتأخرين:

إن " إلى " بمعنى مع كقوله تعالى (من أنصاري إلى الله) وأنشد الفتبي:

يَسْئُدُون أَبْوَابَ الْقَبَابِ بِضَمْرٍ إِلَى عَنَنِ مَسْتُوثَاتِ الْأَوَاصِرِ

(70) آل عمران، (52).

(71) انظر الكشف والبيان، للثعلبي، تحقق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002م، 75/3.

(72) البيت من بحر الكامل، وهو في اللسان 435/15.

(73) البقرة، (187).

(74) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م، ص47.

(75) ورد البيت في الكشف، 338/1، وهو من المتقارب.

(76) النساء، (2).

ثم قال القرطبي : ((وقال الحذاق " إلى " على بابها، وهي تتضمن الإضافة، أي لا تضيفوا أموالهم وتضموها إلى أموالكم في الأكل))⁽⁷⁷⁾.

وينوب حرف الجر في " عن بعض حروف الجر الأخرى، كما في قوله تعالى : (ولأصلبتكم في جذوع النخل)⁽⁷⁸⁾ حيث ذهب المبرد إلى أن " في " بمعنى "على" والتقدير على جذوع النخل⁽⁷⁹⁾ أما ابن يعيش فقال : ((إن في ليست في معنى "على" على ما يظنه من لا تحقيق عنده ، ولما كان الصلب بمعنى الاستقرار والتمكن عدي بقي كما يعدى الاستقرار، فكما يقال تمكن في الشجرة كذلك ما هو في معناه))⁽⁸⁰⁾.

في قوله تعالى : (لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم)⁽⁸¹⁾ جاء حرف الجر " في " نائباً عن " الباء .

فالمعنى : لمسكم بإفاضتكم فيه ، أي : ((بسبب ما أفضتم فيه، ولما كان المسبب متعلقاً بالسبب جعل السبب ظرفاً لتعلق المسبب لا لنفس المسبب، فلذلك يفيد الظرف معنى السببية))⁽⁸²⁾.

وينوب حرف الجر " اللام " عن بعض حروف الجر ، فيأتي بمعنى " إلى " كما في قوله تعالى : (بأن ربك أوحى لها)⁽⁸³⁾ أي : أوحى إليها، يؤيد ذلك قوله تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً)⁽⁸⁴⁾ وقوله تعالى : (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين)⁽⁸⁵⁾.

⁽⁷⁷⁾ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 10/5.

⁽⁷⁸⁾ طه، (71).

⁽⁷⁹⁾ المقتضب للمبرد، تحقق: محمد عبد الخالق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1963م، 319/12.

⁽⁸⁰⁾ شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م، 21/8.

⁽⁸¹⁾ النور، (14).

⁽⁸²⁾ مجاز القرآن، عز الدين بن عبد السلام، تحقق: محمد مصطفى بن الحاج، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1992م، ص153.

⁽⁸³⁾ الزلزلة، (5).

⁽⁸⁴⁾ النحل، (68).

⁽⁸⁵⁾ إبراهيم، (13).

وتأتي اللام بمعنى " على " كما في قوله تعالى : (يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا)⁽⁸⁶⁾ أي :

يخرون سجداً على أذقائهم، ومنه أيضاً قوله تعالى : (وإن أسأتم فلها)⁽⁸⁷⁾ أي : فعلها ؛ لأن المسيء تكون السيئة عليه لا له ويؤكد هذا قوله تعالى : (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها)⁽⁸⁸⁾.

وقد تأتي "السلام " بمعنى " عن " كما في قوله تعالى : (ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا)⁽⁸⁹⁾ أي: عنهم ؛ لأن الغل يكون عن المكروه وليس له .

المحور الرابع: حذف حروف الجر :

تعودت العرب حذف حروف الجر اختصاراً وتخفيفاً إذا ورد في الكلام ما يدل عليها، والقرآن الكريم إنما جاء بلغة العرب مراعيًا ما تعوده العربي في محادثاته، وما جرى على لسانه، فاشتمل على عدة آيات حذف منها حرف الجر كقوله تعالى : (يسبحون الليل والنهار)⁽⁹⁰⁾ أي يسبحون بالليل والنهار .

ويرى مكي بن أبي طالب استواء ذكر الحرف وحذفه من مثل هذه المواضع لأن العرب ((تثبت الباء مع التسبيح وتحذفها تقول: سبح بحمد ربك، وسبح حمد ربك))⁽⁹¹⁾ ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : (فسبح باسم ربك العظيم)⁽⁹²⁾ وقوله تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى)⁽⁹³⁾.

⁽⁸⁶⁾ الإسراء، (107).

⁽⁸⁷⁾ الإسراء، (7).

⁽⁸⁸⁾ فصلت، (46).

⁽⁸⁹⁾ الحشر، (10).

⁽⁹⁰⁾ الزمر، (75).

⁽⁹¹⁾ تفسير الهداية، خ رقم 218، ص294.

⁽⁹²⁾ الواقعة، (74).

⁽⁹³⁾ الأعلى، (1)، وانظر تفسير الهداية الصفحة نفسها.

يقول الفراء في الموضع نفسه : ((سبّح اسم ربك، وسبّح باسم ربك كل صواب))⁽⁹⁴⁾.

وأرى أنه إذا كان الذكر والحذف يستويان عند العرب فإن دقة المعنى القرآني تفرق بين ذكر الحرف

وحذفه، ففي الآية السابقة يبدو للمتأمل في معناها أنه لما كان السجود هو الموضع الذي يكون فيه العبد أقرب إلى ربه حذف الحرف الواسطة وتعدى الفعل بنفسه، حيث أرشدنا النبي ﷺ أن نقول في سجودنا " سبّح اسم ربك الأعلى " وأما الركوع فذكرت فيه الباء ؛ لأنه أقل مرتبة من السجود فناسبه ذكر حرف الواسطة .

إن ثبوت حروف الجر وسقوطها في التعبيرات القرآنية لم يكن عبثاً وإنما كان لحكم سامية وأسرار دقيقة، فمثلاً يقول الله تعالى : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)⁽⁹⁵⁾ ويقول تعالى : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله)⁽⁹⁶⁾ فقد أسقط الحرف " من " في آية يونس الأخيرة وأثبت في آية التحدي من سورة البقرة، يقول الزركشي : ((لما كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول " من " فيها ليعلم أن التحدي واقع على جميع القرآن من أوله إلى آخره ، بخلاف ما جاء في سورة يونس فإنه لو دخلها " من " لكان التحدي واقعاً على بعض السور دون بعضها))⁽⁹⁷⁾.

فقد أسقطت من " لأن الابتداء أو التبويض غير مراد، وإثبات " من " يدل على أن التحدي واقع على بعض السور دون بعض، وهذا ما ياباه المعنى ويرفضه السباق .

المحور الخامس : من أسرار المعاني في حروف الجر :

⁽⁹⁴⁾ معاني القرآن، الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م، 256/3.

⁽⁹⁵⁾ البقرة، (23).

⁽⁹⁶⁾ يونس، (38).

⁽⁹⁷⁾ البرهان للزركشي، 115/1.

إن الحروف الجر من المعاني الدقيقة ما لا يبلغه علم الكثير من الناس، فمن يتدبر معانيها يقف على بعض اللطائف الخفية والأسرار البلاغية الكامنة وراء معاني هذه الحروف التي لا يمكن استجلاؤها إلا بالتدبر وإعمال العقل ، فمن ذلك على سبيل الاستشهاد : في قوله تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين)⁽⁹⁸⁾ خصّ الله تعالى الأصناف الأربعة الأولى باللام دلالة على الملك والأهلية للاستحقاق ، ثم عدل عن السلام إلى حرف الوعاء في الأربعة الأخيرة فقال : (وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) ولعل السبب في ذلك هو الإيذان بأن أقدامهم أرسخ في الاستحقاق للصدقة، وأعظم حاجة في الافتقار من حيث كانت " في دالة على الوعاء فيته بذلك على أنهم أحق بأن توضع فيهم الصدقات كما يوضع الشيء في الوعاء وأن يحطوا مطنة لها ، و ذلك كما في فك الرقاب وفي العرم من الخلاص من الرق والدين الذين يشتملان على النقص ، وشغل القلب بالعبودية والغرم ، فالأصناف الأربعة الأوائل من مستحقي الزكاة هم في الحقيقة)) ملاك لما عساء يدفع لهم فهم يأخذونه ملكا، فكان دخول اللام لائقا بهم، أما الأربعة الأخيرة فلا يملكون ما يصرف إليهم، ولكن تصرف في مصالح تتعلق بهم))⁽⁹⁹⁾.

في قوله تعالى : (ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر)⁽¹⁰⁰⁾ فقد أعرض الأسلوب القرآني عن ذكر حرف الاستعلام " على " وعدل عنه إلى حرف الوعاء " في " مع أن الظاهر هو العلم على الأرض والفلك، ولعل السبب في ذلك هو أن حرف الوعاء أمكن هاهنا من حرف الاستعلاء لأنه يشعر بالاستعلاء لا غير من غير تمكن واستقرار، بينما حرف الوعاء " في " يشعر بالاستقرار والتمكن ، ويؤيد هذا قوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم)⁽¹⁰¹⁾.

⁽⁹⁸⁾ التوبة، (60).

⁽⁹⁹⁾ انظر: من أسرار التعبير في القرآن، ص99.

⁽¹⁰⁰⁾ الإسراء، (70).

⁽¹⁰¹⁾ طه، (55).

في قوله تعالى (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وأنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)⁽¹⁰²⁾ تلمس روعة المعنى وبراعة النظم في مخالفة موقعي هذين الحرفين على وهي فأدخلت الأولى على الهدى والثانية على الضلال ، والسر في ذلك أن صاحب الحق كأنه المرید قوة أمره وظهور حجته وفرط استظهاره راكب جواد يصرفه كيف شاء ، ويركضه حيث أراد، أو لأن صاحب الحق كأنه مستغل يرقب نظره كيف يشاء ظاهرة له الأشياء بخلاف صاحب الباطل فإنه بصله وفرط قلقه، وضعف حاله كأنه ينعمس في ظلام، أو في موضع سافل لا يدري أين يتوجه ولا كيف يفعل، ويؤيد هذا قوله تعالى : (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم)⁽¹⁰³⁾.

في قوله تعالى في سورة الماعون : (الذين هم عن صلاتهم ساهون) نقل ابن كثير وابن عطية وغيرهما من المفسرين الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص حيث قال: سألت النبي عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال: ((هم الدين يؤخرونها عن وقتها))⁽¹⁰⁴⁾ ثم فسر ابن عطية هذا التأخير بأنه تأخير ترك وإعمال⁽¹⁰⁵⁾ ومستنده في ذلك ما دلت عليه " عن " من الكلية والعموم، فيكون السهر عن الصلاة كلها ، وليس المقصود السهو في هيئتها ..

لقد سبقه إلى هذا الرأي كثيرون منهم الخطابي الذي يقول : ((ليس المراد بالآية : الذي لا يدري كم ينصرف عن شفع أو وترا بل المقصود الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم))⁽¹⁰⁶⁾. يؤيد هذه الآراء ما نقل عن عطاء بن دينار ، أنه قال : ((الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم ، فقوله عن صلاتهم يدل على أن المراد به الذهاب عن الوقت))⁽¹⁰⁷⁾.

(102) سبأ، (24).

(103) يوسف، (95)، وانظر : من أسرار التعبير القرآني، ص100.

(104) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار المعرفة، بيروت، 1987م، 593/4.

(105) المحرر الوجيز، 371/16.

(106) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3، ص32.

(107) انظر: الكشاف والبيان الثعلبي، 305/10، وتفسير ابن كثير، 593/4.

في قوله تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا)⁽¹⁰⁸⁾ تتحلى دقة الاختيار والطاقة التعبير في ورود حرف الجر على دون غيره من الحروف ، فلما كان الوصف لعباد الرحمن بين أنهم لم يوطنوا أنفسهم في الدنيا بحب البقاء وكثرة السعي ، وشدة السير ، وإنما هم مستعدون لمغادرتها و الرحيل عنها في أي لحظة ، لذا فهم يمستونها مسا، ولا ينعمون فيها ، بخلاف غيرهم من الجبابرة والمستنطرين ممن يركن إلى الدنيا ويتمسك بها، ويوطن نفسه على السير فيها بشدة وتكبر حتى عاب القرآن الكريم عليه ذلك ونهاه عن فعل التبخر وأمره الا يكون مستغرقاً في شهواتها ، فقال تعالى : (ولا تمش في الأرض مرحاً)⁽¹⁰⁹⁾ فناسب أن يستخدم القرآن الكريم هذا حرف الجر " في " الدال على الانعماس في الشيء والركون إليه ...

وفي قوله تعالى (سراييلهم من قطران وتغشى وجوههم النار)⁽¹¹⁰⁾ تكمن فائدة قصد التبويض في الإعلام بأن هناك قطرانا غير ما جعل منه السرائيل ليصب عليه فيزداد اشتعال النار عليهم بذلك ، أو تجدد منه السرائيل إن ذهبت الأولى بذهاب الجلود التي طليت به ، فالإتيان بالحرف من أفاد معنى لم يعرف بدونها ، فقد نفى توهم التشبيه ، وأفاد أن قص أهل النار من القطران نفسه لا مما يشبهه وإن كانت من . للتبويض أفادت أن هناك قطرانا آخر مخزونا ومهبا لصته عليهم إن ذهب الأول ...

وفي قوله تعالى : (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها)⁽¹¹¹⁾ من العلماء من يرى أنها رائدة ، أقحمت في السياق القرآني لتفيد التوكيد ، يقول عبد الرحمن تاج ((إذا قيل : ما جاءنا من رجل مع إطلاق لفظ رحل و عدم تقييده بالواحد فإنه يدل دلالة ظاهرة من غير شك على إرادة الجنس، فيكون نفي المجيء فيه منصنا على جنس الرجال ، واحتمال أن النقي فيه وارد على الواحد هو احتمال ضعيف يحتاج في إرادته إلى دليل خاص ، وعلى هذا إذا دخلت " من " في هذا التركيب

(108) الفرقاء، (63).

(109) لقمان، (18).

(110) إبراهيم، (50).

(111) الأنعام، (59).

الذي هو ظاهر في العموم صح أن يقال إنها قد زيدت لتوكيد هذا العموم ((⁽¹¹²⁾). فهو يرى أن "من" تفيد التوكيد في السياق نفسه الذي يقال فيه إنها دخلت للعيد التنصيص على العموم ، لكن إذا أمعنت النظر تبين لك أن " من جاءت لتعيد معنى التنصيص على العموم حيث إنها أضافت معنى جديداً للجملة ، وهو أن الله تعالى لم يكن يعلم أي ورقة تسقط حال سقوطها فقط .

وانما هو عليم بأي ورقة قبل سقوطها وحال السقوط وبعده ، وهذا العموم التام لم يكن ليعلم بدون " من " ...

وفي قوله تعالى : (ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون)(⁽¹¹³⁾) لو قبل " لهم عندي ذنب " الاستقام القول واختلف المعنى ، حيث إن ورود حرف الجر " على " في هذا المقام أصفى من قوة المعنى و دقته ما لا يتأتى مع غيره من الحروف ، ففي قوله ، ولهم على " تشبيه للذنب بالحمل الذي يحمله الحاني على كاهله ، لاسيما أن موسى الله قد قتل نفساً فشبه هذا الذنب بالحمل الثقيل الذي لم يفارقه طوال الفترة التي مكنها بعيداً عن فرعون وقومه.

النتائج :

بعد هذه القراءة التي اعتمدت أراء الباحثين المهتمين بالدرس اللغوي وبالإنصات للذكر الحكيم وتأمل معانيه ودلالاته التي لا يمكن حصرها بين دفتي كتاب توصلنا إلى نتائج يمكن إيجازها في الآتي :

1. تتفاوت حروف الجر فيما بينها في الشهرة والاستخدام.
2. تقول طائفة من اللغويين بريادة بعض حروف الجر في الجملة وقد سموها هذه الزيادة باللغو، والحشو والصلة.

(112) مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم)، د. عبد الرحمن تاج، م 16/30 وما بعدها.

(113) الشعراء، (14).

3. ترى جماعة أخرى أن حروف الجر كلها أصلية تؤدي معنى رئيساً في الجملة، وليس بينها زائد .

4. من العلماء من قصر كل حرف من هذه الحروف على معنى واحد يؤديه على وجه الحقيقة بعيداً عن المجاز ، وعدوا التوسع في استعمال بعض الحروف ضرباً من التضمين .

5. خالف بعض اللغويين أصحاب الرأي السابق فذهبوا إلى القول بتعدد معاني الحرف الواحد ، وإمكان نيابة حروف الجر بعضها عن بعض ، كما يمكن إثبات وحذف هذه الحروف وفق مقتضى الكلام.

6. لعل من أهم نتائج هذه الدراسة أن لحروف الجر معاني دقيقة لا تطفو على سطح الجملة، وإنما يمكن استجلاؤها بالغوص في أعماق وجودها ، بالتدبر وإعمال الفكر ، وهو ما انعكس على قراءة النص القرآني والبحث في فهم معانيه التي تنوعت بتنوع هذه الحروف ، الأمر الذي انشغل به هذا البحث الذي لا يعدو كونه محاولة يبتغي صاحبها ثواب الله تعالى، وليكون دعوة لقراءات أخرى تخدم البحث والباحثين السائرين في طريق تأمل كتاب الله العزيز وتدبر معانيه.

وبالله التوفيق

مصادر البحث

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، دار الشام للتراث، بيروت، ط1، 1987م.
2. البرهان في علوم القرآن للزركشي، دار المعرفة، بيروت، ط2.
3. التحصيل لفوائد التفصيل، أحمد بن عمار المهدوي.
4. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م.
5. تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية، مخطوط، خزانة الرباط، رقم (ق 217).
6. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار المعرفة، بيروت، 1987م.
7. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم للخطابي، تحقق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، دار المعارف، مصر، ط3.
8. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
9. حروف الجر وأثرها في الدلالات، محمد طيب فانكا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الجماهيرية، ط1، 2002م.
10. خزانة الأدب للبغداد، تحقق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1988م.
11. الخصائص لابن جني، تحقق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
12. الخلاف لابن الأنباري، تحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، 1987م.

13. ديوان عنتره، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م.
14. شرح المعلقات العشر للشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت.
15. شرح ابن عقيل، تحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة التراث العربي، القاهرة، ط14، 1965م.
16. شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.
17. الكامل في اللغة والأدب، المبرد، مطبعة الفتوح، القاهرة.
18. الكشاف للزمخشري، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة.
19. الكشاف والبيان للثعلبي، تحقق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002م.
20. مجاز القرآن، عز الدين بن عبد السلام، تحقق: محمد مصطفى بن الحاج، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1992م.
21. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم، د. عبد الرحمن تاج، م 30.
22. المحرر الوجيز لابن عطية، تحقق: المجلس العلمي بفاس، مطابع فضالة، المغرب، ط2، 1982م.
23. معاني الحروف الرمانى، تحقق: عبد الفتاح شلبي، 1973م.
24. معاني القرآن، الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.
25. معترك الأقران للسيوطي، تحقق: علي محمد البجاوي وآخرون، القاهرة، 1969م.

26. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقق: مازن مبارك ومحمد علي، دار الفكر، بيروت، ط6، 1985م.
27. المقتضب للمبرد، تحقق: محمد عبد الخالق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1963م.
28. من أسرار التعبير في القرآن، عبد الفتاح لاشين، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، (1403هـ/1983م).
29. موسوعة الحروف العربية، إميل يعقوب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988م.
30. النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار العلم، الكويت، 1394هـ.
31. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف القاهرة.
32. همع الهوامع للسيوطي، تحقق: عبد العلل مكرم و عبد السلام هارون، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975م.